

البداية والنهاية

قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وأما قوله تعالى واذكر أبا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاد وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا \square إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم فالظاهر أن عاداً هذه هي عاد الأولى فإن سياقها شبيه بسياق قوم هود وهم الأولى ويحتمل أن يكون المذكورون في هذه القصة هم عاد الثانية ويدل عليه ما ذكرنا وما سيأتي من الحديث عن عائشة Bها وأما قوله فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا فإن عاداً لما رأوا هذا العارض وهو الناشيء في الجو كالسحاب ظنوه سحاب مطر فإذا هو سحاب عذاب اعتقدوه رحمة فإذا هو نقمة رجوا فيه الخير فنالوا منه غاية الشر قال \square تعالى بل هو ما استعجلتم به أي من العذاب ثم فسره بقوله ريح فيها عذاب أليم يحتمل أن ذلك العذاب هو ما أصابهم من الريح الصرصر العاتية الباردة الشديدة الهبوب التي استمرت عليهم سبع ليالٍ بأيامها الثمانية فلم تبق منهم أحداً بل تتبعتهم حتى كانت تدخل عليهم كهوف الجبال والغيان فتلفهم وتخرجهم وتهلكهم وتدمر عليهم البيوت المحكمة والقصور المشيدة فكما منوا بقوتهم وشدتهم وقالوا من أشد منا قوة سلط \square عليهم ما هو أشد منهم قوة وأقدر عليهم وهو الريح العقيم ويحتمل أن هذه الريح أثارت في آخر الأمر سحابة طن من بقي منهم أنها سحابة فيها رحمة بهم وغيث لمن بقي منهم فأرسلها \square عليهم شرراً وناراً كما ذكره غير واحد ويكون هذا كما أصاب أصحاب الظلة من أهل مدين وجمع لهم بين الريح الباردة وعذاب النار وهو أشد ما يكون من العذاب بالأشياء المختلفة المتضادة مع الصيحة التي ذكرها في سورة قد أفلح المؤمنون و \square أعلم .

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن يحيى بن الضريس حدثنا ابن فضل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول \square A ما فتح \square على عاد من الريح التي أهلكتها بها إلا مثل موضع الخاتم فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم بين السماء والأرض فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها قالوا هذا عارض ممطرنا فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة وقد رواه الطبراني عن عبدان بن أحمد عن إسماعيل بن زكريا الكوفي عن أبي مالك عن مسلم الملائني عن مجاهد وسعيد بن جبیر عن ابن عباس قال قال رسول \square A ما فتح \square على عاد من الريح الأمثل موضع الخاتم ثم أرسلت عليهم البدو إلى الحضر فلما رأوها أهل الحضر قالوا هذا عارض ممطرنا مستقبلاً أوديتنا وكان أهل البوادي فيها فألقى أهل البادية على أهل الحاضرة حتى هلكتها قال عتت على خزائنها حتى خرجت من خلال الأبواب قلت وقال غيره خرجت بغير حساب .

والمقصود أن هذا الحديث في رفعه نظر ثم اختلف فيه على مسلم الملائكي وفيه نوع اضطراب
وإن أعلم وظاهر الآية أنهم رأوا عارضا والمفهوم منه لمعة السحاب كما دل عليه حديث
الحارث بن حسان البكري أن جعلناه مفسرا لهذه القصة وأصرح منه في ذلك ما رواه مسلم في
صحيحه حيث قال